من يحق له التحدث
بإسم كل البشر !

7

بصمة
مثقف
المحرر الثقافي :
تحسين عباس

العراق اليوم
Al iraq alyoum

العدد: 2415 الاثنين 17/ 8/ 2015

ايوب في بغداد

علي رحماني

سأبحث عنه...
سأبقى افتش...
عن وجهه
وعن وهجه....
وعن لجه
اعرف انه....
قدمسه الضر
ودعاربه....
ان يكشف السوء
عن ارضه...
وعن عرضه...
... واوطانه....
ومضى في خضم تواصله
سأدور البلاد بأركانها
من الشرق والغرب
والشمال ...الجنوب....
والبلاد بأحزانها...
بمحلاتها وحاراتها
فربتما أحضى به
كعادته....
في انتظاراته
وأقفا يتأمل نخل الفرات
او عابرا بين الرصافة والكرخ
جسر الحياة..
ويستنطق دجلة في الليل...
يقرأ اسفار معروف
وأحزان ليلى....
وقصتنا....
التي استنطقت...
صخرة ((سيزيف))
ساستفسر عنه الملاجئ
والليل والارتكان السليب..
سأمضي الى لحظة
في الفراق الصليل
فربتما كان يهذي
اويدعي الخوف
ويرفض ان يترك الارض
والعرض... ....
والاهل
لهذا الرهان الرهيب...
سأبحث عنه....
في ساعة خلوته...
ويقضته ...وتشبثه
في الساحات التي لونها...
الدم والنار والاقتتال الغريب
في العيون الحزينة....
في حارات بغداد القديمة
والبيوت التي اثقلتها....
الكآبة واحتدام الرصاص
القريب...
في المدارس....
اذ اتعبتها رياح الفساد
واربكها التناحر والكساد
وراحت تدور بأنقاضها
تتراجع مثل كتاب قديم
ومثل اصطبار نديم
وجدرانها نهشتها....
الحرائق والدمع والاحتضار
في الامكنة المكتضة بالفقراء
كان يجيء لهم....
لحظة الجوع والقلق
المستفيق
يستوضح احوالهم
في ((المساطر))
قرب العوائق....
بين المسالك والقواطع
في صباحات العمل اليومي
والعمال ينتظرون ادوارهم
ويرتقبونه حين يوزعهم....
ويواسيهم
ثم يودعهم.....
واحدا ...واحدا.....
في البسطيات التي تحتمل
المفخخات
مع الحمالين والعتالين
وعمال العربات
حين يخشى عليهم من
الانفجار
ومن لقمة عيش تسب النهار
...
في الشوارع وسيارات
العبوات النلسفة
ولحوم الاجساد المخروعة
...
والعبرات المنزوعة
وفي الساحات.....
او في الحدائق....
ولقاءات العشاق
في الزوراء الجميلة...
او حديقة الامة
.....ربتما.....
بين صخب الحدائق
في ((النهضة))....او((
الوثبة))اوالشورجة
أو الباب الشرقي.....
الباب المعظم...
في الجامعات وهي تقرؤه
...
حين يمشي كتابا جليلا...
في المرايا البعيدة....
وهي ترصد طلعته
واقفا بين نهرين
اوسماء منبدة بالغيوم
او شمسه
التي غيبها وهج الاحتلال
وانواره التي ابعدتها
سحب الاختلال
وغمامة زيف صليل
في همسة طفل جميل....
يتأمل لعبته
في لوحة...
بعد الموت عنها...
وابقت لها...
خيطا من الضوء يتبعه
حين يحاذي الفضاء...
في شهقة الشهداء
ورغبتهم في الكتاب المبين
وفي غربة الصادقين....
وفي يقضة الحائرين
ومن حملوا هويتهم باليمين
ومن اقسموا ساجدين
وكل المنتمين الصادقين
وكل المحتقين
.....الكادحين.....
وكل المنتمين...
الى ارضهم...
والى عرضهم
والى وطن يرتقون به
في ساحات بغداد
و حدائقها التي اورثت
صخبها
وفي ساعة السحر
في لحظة تتجلى بها
عيون السماء
سنتلوا معا.....
دعاء المحبين للفجر...
والشمس....
فيشرق مثل بغداد في الصبح
...
كان يعشقها.....
ويصلي لها كل فجر
يراود احلامها.....
واحزانها...
وعشاقها....
يعانقها.....
.....وهي تسمو به
يسامرها
وهي تبكي له

الكسوف ..رمزاً شعريا قراءة في قصيدةعبدالوهاب إسماعيل

د. منال البستاني

النص
**
قامَتْ قائمةُ الدنيا
لثوانٍ
وتراكَضَ كلُّ الفلكيينَ
على قرْعِ الناقوسْ....
هَمَّتْ بعضُ نجومٍ أن تسْطَعَ واهِمَةً
وَتَوَهَمَ
عَتْمُ البلّورِ الأسودِ
أن يمْسِكَ بالشمس
وراءَ الكابوسْ.....
لكنَّ الكُلَّ اتفقوا.....
عَرَبًا
يابانيينَ
وحتى الرّوسْ....
أنَّ القمرَ الطّارئَ هذا قمرٌ منحوسْ.....
أصغرُ من أنْ يَخدِشَ أحلامَ النّورِ وأنْ يُحْدِثَ
أمراً محسوسْ....
واتفقوا أيضاً وعلى نفس المعيار.....
أنَّ اللهَ القادرَ
قَدَّرَ وزنَ الكونِ
وسَيّرَ الأقمارْ.....
ولِذا لو دارَتْ دائرةُ الأرضِ
على قَرْنِ الثّورِ أو انتقلَ المرّيخُ إلى قَرنِ
الجاموسْ....
لن تُطمَسَ شمسُ الهالةِ
لن يُكسَفَ
وجهُ المكتوبِ
على لوحِ الناموسْ...
سبحانَ
المَلِكِ القدّوسْ

يجذبنا عنوان القصيدة " كسوف "للشاعر العراقي عبد الوهاب إسماعيل التي كُتِبَت على إيقاع بحر المُتدارك إلى المعنى الكوني للكسوف وهو اختفاء ضياء الشمس الذي يبدو للعيان في السماء بشكل دائرة سوداء فتسود العتمة في النهار، وهي ظاهرة فلكية يحاكي بها الشاعر بأسلوب تهكمي أزمة الواقع وانحرافه . إن ظاهرة الكسوف كونية، تثير ضجة ودهشة وخوف على الأرض بين الناس ، تنبثق دلالتها من " قرع الناقوس " ، يربطها الشاعر بطارئ متطفل يريد أن يُلقي ظله على الأرض هو القمر . يشير النص إلى الصراع الحضاري المادي الغربي ضد الحضارة الشرقية العربية ، فجاء المضمون غوصا فلسفيا يفضح أمريكا ويُعَرّي السياسة العربية والعالمية والفاسدين . يسرد الشاعر بسخرية تعبر عن جرح الإنسان المرتبط بجذور واقع الإنسان العراقي المطموس بالظلام والشر ، ليمتد السرد إلى الأفق الإنساني الحزين ، فالفلسفة كما يقول شليجل هي مأوى السخرية ، اتخذ منها عبدالوهاب إسماعيل المؤمن بالثورة والتنوير سلاحا يصارع به الظلم . يعلو صوت المفارقة القائمة على السخرية كعنصر من عناصر جمال الأسلوب الساخر ، ويتجسد في الأفعل " قامت قائمة الدنيا / لثوانٍ / و تراكض كلُّ الفلكيين " فيكشف صورة الواقع الذي يشوبه القلق والقيم الرديئة التي خيّمت في عصرنا ، عصر السياسيين والبرلمانيين الذي يختالون ويتبخترون على الأرض وهم مغمورون في حفرة الجهل والعدم . إن أولي العلم ، وصوت الشاعر الذي يرتبط بالصوت الإنساني الجمعي ، اتفقوا بمراصدهم الجمالية المبنية على العلم واليقين أن هذا الواقع السياسي طارئ وزائل بحسب السنن الكونية . استخدم الشاعر الأسلوب الرمزي التفخيمي للتمييز بين السامي والوضيع ، وجعل الواقع المأساوي محسوسا بغية الإجهاز على القوانين السياسية والاجتماعية التي تكبح الضوء والحلم والحرية ، ووظف بشجاعة جسورة تألق النجوم السماوي الأصيل الذي يعكس ضياء القيم الروحية السامية من أجل إبراز ضآلة السلطة المتدنية التي طمست الضياء وتاهت في غياهب الوهم والعتمة والغي : " همت بعض نجوم / أن تسطع واهمة " ، يخاطب الشاعر السلطة السفلية : أمريكا والسياسيين ، ذوي الأصول التي نشأت في الحضيض ، فرصّد اللغة كشف زيفهم ، توهموا أنهم نجوم ، وهم ظلام نشر القلق ليكشف عن العدم ، وهذا ما يحفزنا على درء الخطر الذي يهددنا ، والتفكير إيجابيا بالتصدي له ، إن النص لا يرى في هؤلاء علامات دالة نهتدي بها ، فالشاعر يُتقن الفكاهة المشحونة بكبريائنا ، ويعتبرها انعتاقا من كابوس جاثم يترصد بحلم الإنسان . إن الكابوس الحقيقي في رؤية الشاعر هو البلادة والغباء وانعدام الإحساس عند هؤلاء السياسيين ، فهم حمقى ومغفلون ، لا يدركون أن الشعب يفهم حكمهم الأعمى والأهوج ، وغياب حوارهم الإنساني مع المجتمع المعرفي والشعب ، تهربوا من مناقشة نقاط ضعفهم ، يعدون الحوار والمشورة نهجا سلبيا في سلوكهم ، وهو نهج إلهي ، وإنساني إيجابي يفتح أبواب التغيير الذي يقود إلى التطور . إن الساخر كما يقول الفيلسوف كيركيجورد أكثر خفة من العالم في هذا العالم . وإذ يخاطب عبدالوهاب إسماعيل السياسة بلغة غامضة ، فإنه يبكي المأساة السوداء للعبث السياسي وخاصة في وطننا العراق ، ويفجره لغة تتدفق من صميم روحه ومن مكابدتنا ، فالسخرية في رؤية ميشيل فوسيل سلاح فعلي للتسخيف ، وهي لعب ليس داخل اللغة فحسب وإنما داخل الأحزاب والبرلمانات . عبد الوهاب إسماعيل استخدم الأسلوب الساخر تعبيرا عن الشعور بالازدراء والتصغير والتحقير الذي يُكنه الشعب لهؤلاء السلطة الذين تخيلوا أنهم سيمسكون زمام الحكم إلى الأبد ، ويتألقون كالشمس ، واتخذ من الشعر سلاحا يصارع به الباطل ، فتجلت مجازية الفعل " توهم " لتشخيص المرض النفسي للسياسيين وهو الفصام ، فهم غارقون في أوهامهم ، بعيدون عن الوعي والواقع ، يلازمهم الوسواس القهري ، والقلق الدائم بسبب الآلية السلبية التي يمارسونها في الحكم وقد زال حياؤهم ، وابتعدوا عن الله ، لا يفهمون حقيقة انتمائهم ؛ لهذا يلازمهم الوهم والتبعية ، أفكارهم مُربَكة ومُربكة ، ولا يعدّهم الشاعر إلا ثقوبا سوداء منطفئة ، وجُسيمات صغيرة ، مسلوبي الإرادة ، لا يخفى على الشعب حقيقة جهلهم وتصنيفه لهم ضمن فئة الرعاع عديمي المبادئ ، لأن قوة خارجية تسيطر عليهم وتتحكم في تصرفاتهم تجاه شعبهم العراقي النبيل ، متبلدي المشاعر ، يتوهمون أنهم أمسكوا بالشمس ، يهلوسون ، ولا يمكننا الوصول إلى خلاصة ما يقولون ، وبسبب هشاشتهم قادوا العراق إلى الانتكاسات ، يراودهم الشك والريبة والظن بأنهم عظماء في حين أنهم صغار ، انقادوا لأمريكا التي تتكاثف صورتها في أوج العتمة والسواد الشؤمي ومؤازرتها للفساد واللامبالاة والعبث بمصير الشعوب ، وفي رؤية الشاعر هي المحاق ، تريد أن تضع قامتها مع قامة الشمس ، الحضارة الإسلامية الصافية ، التحفة السماوية ، القائمة على البناء الروحي والتعمير، أرست قواعدها على الحق والعدل ، في حين أن دولة أمريكا غابت عنها الأخلاق ، واستندت عناصرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على القتل والتدمير والإبادة والتفكيك ونستمد الدلالات التخريبية من أسماء شعوب عبثت بهم أمريكا عبثا لا أخلاقيا : عرب ويلبانيين وروس ، وتصدح لغة الشاعر بالحق والشفافية حين يقول " وحتى الروس " في انعطاف لغوي ، لا ينفي عن روسيا العيب والإثم والفساد والقبح والجرائم القانونية التي ارتكبتها بحق الشعوب وخيانة ثقتهم بها ، إلا أن مساوئ أمريكا جاءت على غير قياس ، لهذا ينظر إليها الشاعر كدولة لا تستند على بُنية صلبة ، وليست لها واجهة عالمية تحميها من الكسر في أية لحظة ، فتجلت الصورة التي تؤكد كثافة وسمك عتمتها التي تختزل خوفها وتخفيها في السطر الشعري " عتم البلور الأسود " منسجمة مع فساد البرلمانيين عملائها المحجوبين عن العرش الإلهي والإنساني ، يتوارون ، خوفا من الضياء بسبب رعونتهم وجرائمهم وسرقاتهم . إن وجود أمريكا وتوابعها ، لا يعده الشاعر ظاهرة إنسانية ، بل سوء حظ ، وبؤس وشقاء ، وموت وشر خيّم على العالم ، فهم في يقينه " قمر منحوس " ، وهم أعداء الشمس ، يجرح بصرهم الضياء ، وأمريكا تدفعها الغيرة والحسد الذين تضمرهما للحضارة العربية ، إلى طمس الضياء ذي الجاذبية المتوهجة أمام جاذبيتها الخاطفة ، وتسعى إلى إطفاء منابع الفرح والسلام لأن سلوكها لا ينتمي إلى وهج الفعل المضيء ، تعلت على القيم الإلهية وانحرفت عن مدارها الصحيح نحو الدم والحروب . إن الحضارة العربية هي شمس ، ضياؤها لا يشوبه انحراف ولا انكسار، يتنافى مع ضوء أمريكا / القمر الخافت أشفقي الكئيب . ربط الشاعر أمريكا بكوكب المريخ الذي يرمز في الأساطير القديمة إلى إله الحرب ، ورمز للعملاء الذين يدورون حولها بذيول من النكرات والتوابع ، فهم في رؤية الشاعر حفر وفوهات ، وثقوب وغبار ، وبقع حمراء بعيدة بعدا لا متناهيا عن إسعاد الإنسان وتبلغ نزواتهم ، فهم ألد الأعداء لحضارة الشمس ، ظهورهم يمثل عصر الحضيض الشمسي القيمي الأخلاقي نظرا لضآلة قيمتهم أمام قرص الشمس ذي اللمعان الشديد ، لهذا يشبههم الشاعر بـ " شمس الهالة " الزائلة ، فأمريكا والتابعين لها إلى زوال ، لأنهم ظهروا عند حدوث كسوف كلي للأخلاق ، ولولا هذا الكسوف لما بانوا وأحالوا نهار العالم إلى ليل دامس ، لكن الشاعر الراصد يؤكد أن شمس الحضارة الإنسانية التي تزينها قداسة الأخلاق ستتشرق في أوج لمعانها وتكتسح دولة أمريكا وذيولها ، وأن الغيب يخبئ لهم عقابا لا يكشف عنه عالم الملكوت ، ففي القوانين الإلهية " لكل أجل كتاب " : لن تُطمَسَ شمس الهالة / لن يُكشَفَ / وجهُ المكتوب / على لوح الناموس / لأن سلوكهم لا تقوده الغاية إلى التحضر الإنساني العالمي ، بل ينظرون إلى التحضر على أنه حالة همجية بربرية تنطح بقوة هائجة ، غير قابلة للكبح ، ذات صوت له خوار ، لهذا جاء تصنيف الشاعر لهم مرتبطا في النص بالحيوانات ذات القرون الجارحة " قرن الثور " و " قرن الجاموس " لما يتسم به سلوكهم من شراسة ورعونة . وهم برؤية الشاعر ذوي قرون حادة تشبه الخناجر ، يشقون طريقهم ضمن قطيع سياسي عميل يعيش بحالة التيه والعتمة ، يجهلون ماهية القيم . أمريكا وعملاؤها قمر زائل يرتبط بالانحراف والانحلال والفجور وغياب العقل ، والإباحية والشذوذ ، وأدعم قولي بأبيات شعرية ذات رموز غريبة تلامس القمر ذي السمات العهرية ، انتقيتها من قاموس الرموز الفرنسي:

رأيتُ في القمرِ / ثلاثة من الأرانب الصغار /
يأكلون البرقوق / و يحتسون الخمر حدَّ الثمالة
. إن الشاعر يدعم رؤيته الثاقبة للعملاء برمز مؤلم ونازف ، وهو الاغتصاب إذ يربطهم " بقرن الثور" فهم خناجر تغتصب الجسد الإنساني ، وبعربدتهم يمزقون العصب الحساس ويفجرون شرايينه دما . إن أشد ما يؤلم الشاعر أن أمريكا وعملاءها يلاحقوننا وحضارتنا العربية التي كان لها دورها العظيم في تاريخ الازدهار الإنساني في ميادين العلم والتوجيه والفن والأدب والعلاقة الإنسانية بين الحكم والرعية ، الحضارة التي لا يشوبها بؤس وشقاء ، والتي تركت آثارها الجمالية الوجدانية في النفس الإنسانية وعلى الأرض ، وهي من أجل الحضارات عدلا وإنسانية ، لذا يرى الشاعر بين الحضارة العربية وأمريكا وذيولها بونا شاسعا لأنهم تركوا آثار الخراب والحرق والدم في كل نفس ، وفي مكان وطئته أقدامهم ، وكرسوا سياستهم المنخورة للتخريب ، واثبتوا للعالم عدم الكفاءة الوفاء والإيمان والعلم لخدمة مصالحهم.إن قصيدة عبدالوهب إسماعيل " كسوف " ذات طابع رمزي يسبح في فضاء علم الفلك ، يُفصح بتعبير بليغ ودقة عن سفاهة سياسة أمريكا والسياسيين الخانعين التابعين لها ، الذين ليس لهم هيبة أو وقار ، ويفتقرون إلى السمو الروحي والفني والميتافيزيقي ، وإلى المعرفة التي يعدها أفلاطون أسمى الغايات التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها في الحياة . إن هؤلاء الساسة يلازمهم الشعور بالنقص والقصور ، خربوا العراق واغتالوا طاقات شعبه ، الساسة الذين هم خرافة الجهل ، وعدم الدراية بفنون الحكم ، يتوهمون أننا نعدُّهُم نجوما ، نحن ذوي الجذور الراسخة بالفن والحضارة نرفضهم ، ونرفض منهجهم الساعي إلى ترسيخ التخلف الذي يبعدنا عن الإيمان بآيات الله القادر ، والإشارات التي يبثها في الكون للتحذير والتنبيه ، ويوظفها الشاعر دلالات وعلامات يحثنا فيها على تأمل واقعنا المخيف المظلم ، فأمريكا وأتباعها ليسوا إلا ظاهرة عابرة ، عاجزون عن أن يمسكوا بالحكم ، وعن جعل أنفسهم أسطورة ، وليس لهم تأثير على مستقبل العالم ، وهم قمر ميت . نحن وحضارتنا الشمس ندور في أفلاك الأخلاق ، والناموس الإلهي الذي قضى أن الله يرث الأرض ومن عليها . إن هذا الوجود خاضع لمشيئة الله وناموسه ، وهو الذي قدّر الأوزان ، فالخائنون آيلون إلى السقوط والزوال لأنهم أنكروا الإنسان الذي كرّمه الله ، واغتصبوا حقه في الحياة والحرية ، وسلبوه الأمان والطمأنينة ، وفشلوا في تحقيق التوازن والتناسق والالتئام في العالم ، وأثاروا الفوضى والضجيج ، وأنكروا عالم الغيب ، والله ، وانصبّ اهتمامهم على عالم الشهادة فعاثوا به فسادا . لقد أغشى بصرهم الغرور التافه والعمى ، فلا يمكن كما يتوهمون ، أن يختلّ دوران الأفلاك ، ولا يمكن للأرض العظيمة ذات الحركة الدائبة والدوران أن تدور على قرن الثور ، أو أن ينتقل إلى قرن الجاموس المريخ ، الكوكب اللاهع الذي يزخر بالمعاني ذات الازدواجية الثرية ، فلا يمكن أن ننكر كما يقول جاك ديريدا طبيعة وترتيب الثنائيات الميتافيزيقية داخل النصوص . إن ميزة اللغة الشعرية أنها تستطع ، إذ جعلت من السياسيين الزاحفين كسوفا بلغة رمزية ، فلا يُقبّل حكمهم ، ووجودهم زور وبهتان . إن الشعر شمس أصيلة يتدفق شعاعها لينير فكر الإنسان الذي هو أساس إقامته على الأرض باعتباره كما يقول هيدجر فكر الوجود ، مؤكدا أن اللغة بناء وتأسيس للوجود وللإنسان وللتاريخ ، وليست الكلمة إلا عينا ثمّنّ من الإدراك.إن الشاعر يحاكي عالم الحق ، عالم الصورة والإدراك والمعرفة ، يختتم القصيدة بالتسبيح والتمجيد لله الملك القدوس تعبيرا عن شدة الضيق الذي لا يزيحه إلا الفعل الساطع بضياء الحق والثورة على الظلام والجهل ، والأمل المتوهج بالجوهر الأزلي ، الله الواحد ذي الجلال والجمل ، والقدرة المطلقة التي تتولى تطهير الأرض من الأدناس التي لوثتها بها أمريكا وأهل الشرك من السياسيين بانصياعهم وتبعيتهم لأمريكا والفتك بالإنسان ، فهم علل الضياء ، وعلل الوجود ، وكسوف ما بعده كسوف ، يسكب ظلمات تخدش الروح التي طرأت عليها جروح وحفر وضرر وأخاديد ، وانزحافات جرحت شمس السماء العربية ، وكرامة الأرض.

عرض من على شاشة قناة العراقية

مسلسل وادي السلام توثيق درامي لتراجيديا عراقيّة

عبدالرزاق الربيعي

أكثر من سبب جعلني أتابع مسلسل" وادي السلام" للمخرج مهدي طالب، وإنتاج شبكة الإعلام العراقي ،لعلّ في مقدّمتها إنّ المسلسل اختار لأحداثه مكانا يعزف على وتر حسّاس في الوجدان الجمعي ، فدخول مقبرة "وادي السلام" التي تعدّ أكبر مقبرة في العالم يحتاج إلى استعداد نفسي خاص لكون الداخل يشعر أنّ للموت يدا طولى ،تمتدّ ،لتجزّ الأحياء ،وتؤسّس وطنا ، والمثل الفرنسي يقول " من رماد الموتى تتشكّل الأوطان"، فكيف يكون الحال لو جرت أحداث مسلسل كامل ، من ثلاثين حلقة في المقبرة؟
إنّه أمر ينطوي على مغامرة ، يتحمّل العبء الأكبر منها المخرج، وأبطال المسلسل، وهنا أصل إلى السبب الثاني الذي جعلني أتابع المسلسل هو وجود فنّانين كبار في المسلسل ،لعلّ في مقدّمتهم الفنّان الكبير مقداد عبد الرضا ،وكلّنا نعرف دقّة اختياره لأدواره ،ومشاركته، هذه الدقّة جعلته قبل الظهور على الشاشة قياسا بزملائه، من جيله ، لكنّه حين يقبل المشاركة بعمل، فهذا يعني إنّه على قناعة كاملة ، بالنص ،والمخرج، وفريق العمل الذي يشاركه، وحتى الفنّانين ، وهذه كلّها توفّرت له في مسلسل "وادي السلام" ، فظهر بدور جعلنا لا نتردّد بمقارنة أدائه بأداء ممثلين كبار على مستوى عالمي. أمّا السبب الثالث، فهو اسم كاتب النصّ الصديق الشاعر والروائي أحمد سعداوي الذي حقّق شهرة عربيّة واسعة بعد فوزه بجائزة البوكر لعام ٢٠١٤ عن رواية" فرانكشتاين في بغداد" رغم إنّه كتب المسلسل قبل نيله الجائزة ، إلّا أن مجرد احساسي بأنّ كاتب النص ، هو أديب له بصمة مميّزة، يجعلني أضع ثقتي بالعمل، كونه قد يفاجئني بجملة ،أو معنى ، أو شخصيّة دونجيّة يلتقطها من الواقع ، أو بما يجود من فتوحات المخيّلة.وحين بدأت الفضائيّة العراقية بعرض المسلسل ظهرت أسباب أخرى جعلتني أكثر حرصا على متابعته، رغم توقيت عرضه المتأخّر ،حسب توقيت مسقط (إذ كان يعرض بعد منتصف الليل) ، ومن هذه الأسباب ، المهارات التي أظهرها المخرج في إدارة الكاميرا ، بلقطات طويلة ،بانوراميّة، وتحريك المجاميع ،والأكشن ، وضبط إيقاع المسلسل ، والتركيز على أداء الممثلين ، بما يقترب من الواقعيّة السحريّة، فظهروا بشكل مختلف ،وهذا واضح، فالكبير مقداد عبد الرضا ،عمد إلى تغيير طبقة صوته، عند أدائه لشخصيّة الدفّان "الحاج جمعة"، وحركة سيره، كونه مصابا بعوق في قدمه ، يجعله يعرج في سيره ، لكنّه عندما يتكلّم ، فإنّ كلماته تسير مستقيمة ، حين يضفي على الأحداث شيئا من فلسفة فطريّة مستقاة من تجارب حياتيّة، وذلك عن طريق سرد حكايات، وذكر أمثال من واقع التجربة الإنسانيّة ، مكرّرا جملته" أسرار، هذا العالم أسرار" ، محاولا تفسير تلك الأسرار..وفكّ غموضها، وكشف خفاياها ، وكلّنا نعرف أنّ تغيير طبقة الصوت، وأيّ عوق جسماني ، من الممكن أن يؤديه الممثل في فيلم ،أو سهرة تلفزيونيّة، أمّا أن يكون في مسلسل من ثلاثين حلقة ،فهذا أمر صعب، لكنّه ليس صعبا على ممثل أدّى من قبل شخصيّة ظلّت عالقة في الذاكرة هي شخصيّة "رؤوف" في مسلسل "النسر وعيون المدينة"
،وينطبق الأمر على الفنان خليل ابراهيم الذي أدّى أهمّ دور في تاريخه الفنّي ، حسب رأيي ، مؤكّدا أن الممثل الكوميدي الكبير ، تراجيدي كبير، فقد أدّى شخصيّة الجندي العراقي الذي "خرج من الحرب سهوا"، حسب تعبير الصديق الشاعر عدنان الصائغ، حاملا تذكارا تتمثّل بشظايا عالقة في رأسه، وصور ،وذكريات مع شهداء عاش معهم، فظلّوا يسكنونه، ويتحيّن الفرصة ليستدعي تلك الذكريات الموجعة، التي اعتاد أن يكرّرها على مسمع مساعده في بيع "الطرشي" الذي أدّى دوره الفنّان خليل فاضل خليل، وأيضا سجّل حضورا مميّزا، فقدّم أداء لشاب مصاب بالتأتأة ، ويحدث هذا العوق شرخا نفسيّا يجعل ابنة بائع "الطرشي" ترفضه حين تقدّم لطلب يدها ، لتزداد آلامه، وشروخاته، والأداء المختلف الآخر الذي لفت نظري هو أداء الفنّانين الآخرين ، كالممثل سامي دشر، الذي هو الآخر غيّر طبقة صوته، وأدّى شخصيّة الشاب الذي يعاني من خلل نفسي ولادي. وتزيد أزمته ،وهو الوحيد لأمّه الأرملة (الكبيرة هناء محمّد)، مهنة أمّه التي فتحت بيتها مصبغة ،لصبغ الملابس بألوان الأسود ، فينطبع السواد بروحها ، وهو ما تفصح به في حوارا تها الأخيرة "لزلم السواد بروحي ، كدامي سواد ،وراي سواد" ، هذا الجوّ الترا جيدي الذي يعيشه جعله يعيش على هامش الحياة ، ليكسب لقمة عيشه من لجونه إلى النصب ، والاحتيال ، فيقوم بالتزوير ، وبيع الخرز ، وقد يلجأ إلى تمثيل دور المدفون الحيّ الذي تركه أهله ،وحين مضوا أفاق من غيبوبة الموت ،ليستعطف المارّة، فيجمعون له النقود، وهذا الأمر جعله صيدا سهلا لجهاز الأمن الذي نجح في جعله وكيلا له بعد أن ألقى القبض عليه ، بسبب ثرثرته، وإبواء أمّه لـ"عبّاس أبو شيمة " الذي أدّاه الفنان المبدع سمر قطمان ، ودوّخ الأمن، فأجاد، بأدائه ، أمّا وجدان الأديب، فقد أدّت بمهارة شخصيّة العرّافة التي تناصب الدفّان "الحاج جمعة" العداء لأسباب قديمة، فتقف مهدّدة " راح أسوي لك حرز ،أخليك لاحي ولا ميّت، إلى أن تدفن نفسك " ، ولا ننسى أداء الفنّان د. ميمون الخالدي، الذي يمثّل علامة مهمّة في تجربته الطويلة، بتسام فريد ، والمتميز أحمد شرجي ، وسمر قحطان، وحقي الشوك، وإياد الطائي ، وشهرزاد شاكر ، زهور علاء ، علي داخل، وجبّار المشهداني ، الفنانة الشابة رو كيان وبقيّة فريق العمل..وكانت الحلقة ٢٧ قمّة في التصاعد الدرامي، والمزج بين اللقطات، وروعة الأداء ، لمقداد عبد الرضا ،ووجدان الأديب ،وسمر قطمان، في مشهد مقتل "عبّاس أبو شيمة ، إذ برع المخرج في مزج اللقطات من ثلاثة أماكن مختلفة : " لحاج جمعة" ، وهو يسير بين الأزقة ، ويشعر بدنوّ أجل "عباس أبو شيمة" ، عن طريق التخاطر الروحي، حين أحاطه رجال الأمن وحاصروه في المقبرة، والعرّافة التي كانت في بيتها تستحضر الأرواح .
وتبقى المساحة الزمنيّة التي تحرّكت على أرضيّتها أحداث المسلسل هامّة جدّا ، كونها تلقي الضوء على الممارسات القمعيّة ومطاردة النظام السابق للمعارضين الذين وجدوا في سراديب مقبرة النجف ، ملجأ ، والتطرّق إلى ما تحويه من مخطوطات قديمة قيّمة كانت هدفا للنظام ، وقد يكون في جعل تركيز أجهزة الأمن على المخطوطات أكثر من المعارضين فيها بعض المبالغة ، لكن ربّما أراد المؤلّف" أحمد سعداوي" الذي كتب نصّا لا يقلّ أهميّة عن "روايته ذائعة الصيت " فرانكشتاين في بغداد" ، أن يعطي المخطوطات التي تعجّ بها سراديب مدينة عرفت بالعلم والأدب كالنجف، دلالة رمزيّة كونها تتصل بالذاكرة، التي شكّلت هدفا للكثيرين ، في مرحلة زمنيّة حسّاسة، سلّط المسلسل عليها الأضواء ، وتمتدّ منذ عام ١٩٩١ واستمرت حتى بعد سقوط النظام في ٩-٤-٢٠٠٣ م ، وقبل ذلك الحدث بخمسة أيّام يرحل الحاج جمعة بعد فتح السجون ، ليحمل خطاط شواهد القبور، (مثله بيراعة الفنّان أحمد شرجي) ، عدّته ،ويقول مخاطبا القبور " آني رايح، لكن أوّل وتالي راجع لكم" ،لتطوى صفحة ،وتفتح صفحة جديدة ، لتتواصل الآلام.وقد حاول المخرج كسر الجوّ التراجيدي الذي هيمن على أحداث المسلسل من خلال تطعيمه بلقطات تأسيسيّة، تمثل محطّات استراحة، قد تكون مكرّرة في مشاهد سوق النجف ، والمنارة، بمرافقة موسيقى مبهجة ،لكنّها كانت ضروريّة ، لكسر الإيقاع المعتم ، الذي سيطر على المسلسل ،خصوصا المشاهد الطويلة الممثّلة للثياب السوداء لبيت (هناء محمد)مع إدراكنا للصعوبة التي واجهها المخرج في أعمال سلحتها مكان ضيّق ،محدّد ،تحيطه الكآبة ، إذ كان حبيسا المقبرة ،ومحيطها، فحاول التلوين الإيقاعي للمشاهد، منتقلا من سراديب المقبرة ،إلى فضائها ،وما جاورها من سوق ،وبيوت ،ومحلّات ولإضفاء مادة توثيقيّة استعان المخرج بلقطات حيّة، توثيقيّة ،للدبّابات الأمريكيّة، وهي تكتسح النجف ،في مسلسل ذي طابع ملحمي حاول أن يقدّم شهادة حيّة عن مرحلة مهمّة ،ذكّرنا بالأعمال الملحميّة السوريّة والإيرانيّة (استعان مخرج العمل بالمخرج المنفذ السوري أحمد ماردبني، وبفريق أيراني محترف مكوّن من المصور رضا غفاري، والصوت علي رضا، والاضاءة مجيد غفاري والمكياج فرزاد) وهذه خطوة مهمّة للاستفادة من الخبرات الدراميّة في المنطقة ، وبقي لي أن أحيي مصمم الأزياء العراقي سنان كامل الذي أضفى جوّا من الغرابيّة في تصميمه لأزياء الممثلين ،فجاءت منسجمة مع غرابيّة الشخصيّات المهمّشة ،تلك التي جعلها الكاتب أحمد سعداوي، أدواته في عرض مأثمه ، ورسمها المخرج مهدي طالب في مسلسل يواصل من خلاله ، مشروعه الدرامي التوثيقي لمرحلة مهمّة من تاريخ العراق المعاصر الذي بدأه بمسلسله (ضياع في حفر الباطن) فحجز له مكانا في ذاكرة الدراما العراقية.

الوطن بين الأمل والمرارة

سامي العامري

عن الإنفجارات في سوق جميلة وغيره بمدينة الصدر

مدنُ العراق تناوشتكَ ذليلا
وأتاكَ الغثيْنُ عزرائيلا
وتقيّأتكَ الحورُ معدن خسةٍ ورمينكم للقيح جيلاً جيلا
إن يغدر الغدرُ ،، هذا طبعُهُ
فالورد شفَّ (جميلةً) وجميلا
وهي التي الثورات تركع لاسمها
ما أرخصَ التفجيرَ والتقتيلا

لا ترفعوا الموتَ عنهم إنهم حطبُ
لنارِ حريةٍ كالشوق تلتهبُ
والشعبُ درعٌ لكم فامضوا به قُدُماً
مؤيَّدين بجندٍ هم مَن اغتربوا
وحرِّروا حرِّروا بغداد، قلعتهم
من اللصوص وقاضوهم بما نهبوا

طرفة من الشاعر المفلس (أبو دُلامة)
فقد دخل على الخليفة المهدي فأنشده قصيدة ، فاستحسنها فقال له : سل حاجتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، هَب لي كلباً . فغضب المهدي وقال : أقول لك سل حاجتك فتقول هب لي كلباً ؟! فقال : يا أمير المؤمنين ، الحاجة لي أو لك ؟ فقال : بل لك . فقال : إني أسألك ان تهبَ لي كلب صيد . فأمر له بكلب صيد . فقال يا أمير المؤمنين ، هبني خرجت للصيد ، أأعدو على رجلي ؟! فأمر له بدابة . فقال: يا أمير المؤمنين ، فمن يقوم عليها ؟! فأمر له بغلام . فقال : يا أمير المؤمنين ، هبني صدتُ صيداً وأتيت به المنزل ، فمن يطبخه ؟! فأمر له بخادمة .فقال : يا أمير المؤمنين ، فهؤلاء أين يبيتون ؟! فأمر له بدار . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد صيَّرتَ فيَّ عنقي عيالاً ، فمن أين لي ما يقوت هؤلاء ؟! قال المهدي : أعطوه جريب نخل ، ثم قال : هل بقيت لك حاجة ؟ فقال : نعم ، : ومذا عن شعبي ومظاهراته ومطالبه .. فأغمي على الخليفة المهدي !!

نقلتْ هذه الحكاية مع بعض التصرف لأبين حاجات شعبنا التي ستذهل الحكام النائمين وراء الأسوار وأولى المطالب الحرية والأمن والإستقلال والطعام والكرامة

إذا نجحت مطالب شعبنا بالتحقق السريع في المحافظات المتظاهرة دون مماطلات لكسب الوقت وإعادتنا إلى زمان مواعيد عرقوب، أقول إذا تحققت كما أرجو فسينعكس ذلك إيجابياً على محافظتين أخريَين منكوبتين بالإحتلال هما الموصل والأنبار فشعبنا فيهما لا يقل تطلعاً للحرية والعودة وتنفس ضوء الشمس وعبقها ولي ثقة بشعبي تعززت في الإنتفاضة الأخيرة المشرّفة